

**عنوان البحث /احتلال البرتغال لطرق التجارة العالمية وأثره في القضاء على الاقتصاد العربي الإسلامي
في القرن الخامس عشر الميلادي**

المملكة العربية السعودية- جامعة -الملك خالد – بمدينة أبها /كلية العلوم الإنسانية/ قسم التاريخ/ للبنات

د/ أمال محمد سعد النور موسى التخصص/ تاريخ حديث ومعاصر

الايمل: dramal5555@gmail.com

المخلص

تعتبر الدراسات التاريخية هي الأساس الذي بنيت عليه الحضارات وقام عليه تطور الدول وقد اتسمت هذه الدراسة بإلقاء الضوء على نتائج عصر النهضة الإيطالي الحديث على أوروبا عامه ودولة البرتغال بصفه خاصة توسيع النظرة الأوروبية للعالم عامة، وذلك من خلال الاستكشاف الأوروبية، الازدهار والحضارة العلمية وما حقق من اكتشافات في مجالات عديدة كحركة ترجمة العلوم الإسلامية المختلفة من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية، كبداية "حركة الاستشراق، في التاريخ الحديث . كما أثبتت الدراسة الروافد التي استقت منها أوروبا نهضتها الحديثة كالمراكز الإسلامية الثقافية المهمة آنذاك مثل: قرطبة في الأندلس، وباري ، وتعلم العربية -"والعلوم المختلفة، و تحرير الفكر الأوروبي من أغلال الكنيسة الأمر الذي أدى لقيام النهضة العلمية، وظهور النظريات المختلفه .

وبينت تغيير الفكر الأوروبي ولاسيما بعد فتح القسطنطينية . وتطويق العالم الإسلامي بحرياً، وهو ما عرف في التاريخ باسم حركة: "الكشوف الجغرافية" بدلا عن الحروب الصليبية ما أدى لاكتشاف لطريق "رأس الرجاء الصالح" مما أدى لتغيير طرق التجارة العالمية عن بلاد المسلمين إلى المحيطات الكبرى وكان نقطة تحول في تاريخ الصراع الإسلامي الأوروبي؛ و أدى لضرب الاقتصاد الإسلامي آنذاك وظهور "عصر الثورة التجارية في أوروبا . كما وفرت الدراسة بعض المعلومات المفيدة عن مجتمعات بعض المدن والموانئ العربية والإيطالية والعلاقات التجارية بينهم في مطلع العصر العثماني .

وازداد اهتمام الأوربيين بالخليج العربي و تضاعف تأثيره في العالم بآثره بعد ظهور خام البترول، وأصبحت تنصدر أولويات الدول الاستعمارية الكبرى. بان حققوا ثورة في تجارة أوروبا ومجداً عظيماً . فكان أعظم وأهم مظاهر الكشوف البرتغالية ١٤٩٢ م . هو اكتشاف الطريق من أوروبا إلى الهند بحراً حول أفريقيا و هو طريق رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٩٨ م. و اكتشاف العالم الجديد . مما أدى لتدهور الأحوال الاقتصادية في الموانئ العربية والإسلامية كلها .

الكلمات المفتاحية

أ- دوافع الاستعمار ، ب- احتلال سواحل ومنافذ التجارة في شبة الجزيرة العربية ، ج- نتائج تحويل التجارة عن المدن والموانئ العربية الإسلامي

المقدمه

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين وعلى اله وصحبه أجمعين .

نسبة لأهمية الدراسات التاريخية في كاهه فروع التاريخ ولاسيما فترة التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر في كل فتراتنا المختلفة والتي تعتبر أكبر الثروات التي يورثها الباحثون لطلاب العلم والمعرفة إذ هي الوسيلة التي تساعد الباحث على التوصل إلى بيانات ومعارف جديدة ودقيقة توضح تفاصيل مواضيع معينه أو مشكلات تواجه المجتمع، وما تحفل به من أحداث تاريخية خطيرة ولما تركته من قضايا عديدة هامة في تاريخ بعض الدول نتيجة للتدخلات الأجنبية المختلفة في بعض شئونها الداخلية والخارجية وذلك بإثارة المشكلات المختلفة حين اندفعت بعض الدول الأوروبية في القرن الرابع والخامس عشر للغزو والاستعمار في قارات آسيا وأفريقيا تحت مفاهيم جديدة ومسميات عديدة منها: الاستعمار، الانتداب، الامبريالية، والتي تهدف إلى سيطرة الدول القوية وتدمير تراثها على الدول الضعيفة وبسط نفوذها من أجل استغلال خيراتها في كافة المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية، ونهب معظم ثروات البلاد المستعمرة، فضلاً عن تحطيم كرامة شعوب تلك البلاد الحضاري والثقافي وفرض ثقافة الاستعمار الذي يدعي نقل البلاد المستعمرة إلى مرحلة الحضارة. فظهر هذا النوع من الاستعمار نتيجة لانفتاح أوروبا على العالم الخارجي. فلذا يجب أن تحظى تلك الفترات باهتمام كبير من اجل ذلك.

فلذا قامت الدراسة على الوصف التاريخي وسرد لبعض الأحداث الزمنية التي مرت بها هذه الدول المستعمرة والتغييرات الجذرية الهامة عقب الاستيلاء عليها من بعض البلاد الأوروبية المختلفة وما وقع فيها لعناصر السكان من أساليب وحشية وتغيير ولغة والثقافة وما نتج عنها من مشكلات عرقية وقومية متعددة.

وقد حظيت الدراسة في هذه الفترة الزمنية الطويلة بسرد الأحداث الوقائع التي لازمت موضوع الدراسة من حيث والأسباب والدوافع لهذه الفترة وما تمخض عنها من نتائج.

مشكلة البحث:

لمعالجه إشكاليه البحث انطلاقاً من التساؤلات الآتية:-

- ما مدى إسقاط مناهجنا التاريخية لأهم موضوعاتنا الهام وتوضيح دور العلم العربي في النهضة الأوروبية؟
ما هو دور الباحثين في العناية والاهتمام اللازم والتصدي للتقليل والتضليل للعالم العربي المسلم عبر مراجع موثقه؟
ما هو دور الباحثين في المشكلات التي يملك حلها من خلال الأبحاث العلمية للعالم العربي والإسلامي.

أهمية الموضوع

- 1- ترجع أهمية البحث إلى إلغاء الضوء على الاحتلال الأوروبي للشرق الإسلامي في العصر الحديث. بصفه عامة والاحتلال البرتغالي لطرق التجارة في القرن الخامس عشر بصفه خاصة بهدف لجلب الثروة لأوروبا والتبشير بالمسيحية.
- 2- القضاء على التجارة العربية الإسلامية، بعد معرفة طرق الملاحة البحرية علي أيدي بعض المرشدين المسلمين.
- 3- لإبراز أهمية الخليج العربي ومركزه التجاري الهام وكونه وحلقة وصل بين مركزين للمنتجات التجارية من الهند والصين والأرخبيل الشرق إلى الشام وفارس والجزيرة العربية ومن ثم لأوروبا وبالعكس.
- 4- توضيح ماطرا على النشاط الاقتصادي والحركة التجارية في المدن التجارية والموانئ العربية والإسلامية. الهامة علي الخليج العربي، والبحر الأحمر والبحر المتوسط.

أهداف الدراسة:-

ويأتي الغرض من هذه الدراسة في:-

١- توضيح الأهداف والدوافع المختلفة للاستعمار والذي كان نتيجة من فقد كانت هناك العديد من النتائج العلمية للنهضة الأوروبية التي حدثت في القرن الخامس عشر الميلادي كإكتشاف الطريق من أوروبا إلى الهند بحراً حول أفريقيا و هو طريق رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٩٨ م. و إكتشاف العالم الجديد .

٢- توضيح التدهور الأحوال الاقتصادية في الموانئ العربية والإسلامية، إسهام الحضارة الإسلامية في ذلك الوقت ودورها الهام في يقظة الأوروبيين من جهل وظلام العصور الوسطى ولحاقهم الحضارة الإسلامية في ذلك الوقت، وما حققوه من نتائج علمية عديدة إفادة الأوروبيين على مدى السنوات وذلك مثل :-

أ- حركة الاستشراق التي كانت نتيجة لترجمه العلوم الإسلامية المختلفة من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية إلى بداية

ب- تحرير الفكر الأوروبي وظهور عصر النهضة العلمية الأوروبية وظهور النظريات المختلفة وذلك بعد الاستفادة من المراكز الإسلامية الحديثة كقرطبة و الأندلس وغيرها .

٣- تبين دور الدول الكبرى في الهيمنة العالمية لتعزيز مركزها الدولي، في إطار هذا التنافس لزيادة مواردها، خارج حدودها فاستهدفت مناطق غنية بالموارد أو يمكن الاستثمار فيها .

منهجية الدراسة:-

منهجية البحث لقد اعتمدنا على دراسة المنهج التاريخي الذي يعتمد على ما وقع في الماضي من أحداث ومن ثم يقوم بتحليلها وربطها بما يدور اليوم من إحدات في العالم كانت لها أحداث ومسببات الماضي، وذلك من خلال المصادر والمراجع والوثائق المكتوبة والأصول التاريخية الواضحة لتحقيق أغراض وأهداف الدراسة وصولاً للحقائق المطلوبه .

الإطار النظري

من المعروف أن عصر النهضة الأوروبية في شبه جزيرة إيطاليا قد أسهم بدورا كبيرا في حركة الكشوف الجغرافية التي ترتب عليها انتقال أوروبا من العصور الوسطى إلى العصور الحديث نتيجة لبعض العوامل الاقتصادية السياسية والدينية مجتمعه في، دفع حركة الكشوف الجغرافية إلى الأمام، إذ حظيت بتشجيع الحكومات. وهذه الحكومات كإسبانيا والبرتغال لم يكن في وسعها، حل مشاكلها الاقتصادية إلا بالعثور على طرق تجارية، جديدة تمكنها من الحصول على بضائع آسيا. كذلك أسهمت حاجة أوروبا، الشديدة إلى المعادن الثمينة كالذهب، والفضة في دفع حركة الكشوف وذلك للخلاص من الأزمة الاقتصادية التي انتابتها خلال القرن الخامس عشر وكان من أبرز مظاهرها تضائل الإنتاج وانكماش المبادلات التجارية، وهبوط الأسعار. و الهدف الرئيسي هو تحقيق الربح التجاري والتخلص من الاحتكار الإسلامي. كما إن للأطماع الحكومات الأوروبية في السيطرة وزيادة النفوذ وامتلاك المستعمرات في الأمكنة المكتشفة أدت إلى تنافس سياسي لاكتشاف مناطق جديدة استمر طيلة القرن السادس عشر. وقد كان للدوافع الدينية أيضا دور في حركة الكشوف الجغرافية فالبرتغال على سبيل المثال جعلت شعارها في هذه المرحلة ضرب قوة المسلمين في غرب أفريقيا وشواطئ الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط. وقد حازت حركة الكشوف على اهتمام بالغ من قبل البابوية .

أدبيات الدراسة (الدراسات السابقة)

أما بالنسبة لمكانة البحث من الدراسات السابقة فهناك عدة دراسات تناولت الكشوف البرتغالية والاستعمار الأوروبي على السواحل الأفريقية وكيفية الوصول للموانئ العربية . فأنتني ركزت علي الجوانب الأساسية في الموضوع الدراسة وهو كيفية القضاء على التجارة العربية فلذا قصدت

بهذه الدراسة توضيح بعض النقاط الهامة حتى يسهل على القاري الاطلاع عليها باعتمادها على المصادر الأصلية ذات صلة وثيقة بالدراسة أكثر للاستفادة منه • ومن الكتب التي تناولت موضوع الدراسة مثل:-

١- كتاب تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، تأليف الدكتور عبد الله عبد الرازق إبراهيم - الدكتور شوقي الجميل، جاءت الكتابات عن تاريخ أفريقيا وكلها تحيز مع البيض، ونسيت دور الأفارقة في الحضارة الإنسانية •

٢- كتاب تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر: تأليف الدكتور- فرغلي علي تسن هريدي، تناول هذا الكتاب سرد لأهم الأحداث التاريخية التي مرت بها أفريقيا في تاريخها الحديث والمعاصر، الي ركز على الحديث عن الكشوف البرتغالية والاستعمار الأوربي على السواحل الأفريقية. تجارة الرقيق حتى مؤتمر برلين ١٨٨٤/١٨٨٥ •

٣- بحوث ودراسات وثائقية في تاريخ أفريقيا الحديث للدكتورة الهام محمد على وقد عكست فيه وجهة النظر العربية المحايدة لفترة التوسع الأوربي في القارة الأفريقية •

٤- التدهور الاقتصادي في دولة سلاطين المماليك (٨٧٢ - ٩٢٣ هـ/ ١٤٦٨ - ١٥١٧ م في ضوء كتابات ابن إياس والذي أوضح فيه التدهور الاقتصادي في مصر والمدن الايطالية التجارية الهامة وغيرها •

مصطلحات البحث

١- الكشوف جغرافية

تعريفها هي رحلات قام بها الأوروبيون لاكتشاف العالم الجديد واستغلال الموارد. وقد أسفرت حركة الكشوف الجغرافية عن نتائج عديدة، كان لها آثار بالغة الأهمية في حياة أوروبا والعالم في العصر الحديث، فقد ساعد الاتصال بين أوروبا والعالم الجديد، على تقدّم المعارف والعلوم، فقد فتحت الكشوف الجغرافية آفاقا واسعة أمام العلماء، لمزيد من البحث العلمي

٢- عصر النهضة

يطلق مصطلح النهضة على مجموعة من الأفكار والمنجزات العلمية والأدبية والفنية التي حدثت في فترة انتقال أوروبا من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة. أما اسم "La Rinascimento" بالاطالية، و " Renaissance" باللغة الفرنسية فتعني الميلاد الجديد أو البعث، للروح القديمة، بعد قضت البربرية الجرمانية على الإمبراطورية الرومانية في الغرب، والقوط، فقد قضت على زهرة الفن الروماني وأحلت محله العمارة القوطية. فإذن هي المعيار العلمي، الذي تمثل في حركة إحياء العلوم القديمة والإضافة إليها، والمعيار الاقتصادي الذي أدى للنمو الاقتصادي والمالي والتجاري، والمعيار السياسي فالنهضة في إقامة دول قومية حلت محل الملكيات الإقطاعية. أما إطارها الزمني فهي قد انبثقت في إيطاليا في القرن الرابع عشر، وانتقلت منها إلى أنحاء أوروبا في القرون اللاحقة •

٣- الاستعمار

تُعد ظاهرة الاستعمار التاريخية، واحدة من الظواهر التي انتشرت في جميع أنحاء العالم عبر الزمان، وامتدت لتشمل شعوبًا متباينة مثل الحثثيين والأنكا والبريطانيين. بدأت دولة الاستعمار الحديث العالمي، أو الإمبريالية، في القرن الـ١٥ تزامنًا مع "عصر الاستكشاف"، مُنقادة بالاستكشاف البرتغالي والإسباني للأمريكتين، وسواحل أفريقيا والشرق الأوسط والهند وشرق آسيا. وخلال القرنين الـ١٦ والـ١٧،

٤- الانتداب

كما نصّ عليه ميثاق الأمم المتحدة هو نظام أقامته عصبة الأمم لتطبيقه على بعض الأقاليم لتمكين دولة تدعي مساعدة البلدان الضعيفة المتأخرة على النهوض وتدريبها على الحكم، حتى تصبح قادرة على أن تستقل وتحكم نفسها بنفسها .

(مثل سوريا وفلسطين ولبنان) بعد الحرب العالمية الأولى (1914-1919) وينص النظام على أن الغرض من الانتداب هو مساعدة هذه الأقاليم التي لم تبلغ بعد الدرجة التي تمكنها من الاستقلال بنفسها. وقسمت الانتدابات إلى ثلاث فئات، كانت بلاد الشرق الأوسط في الفئة الأولى، وتضم الدول التي "وصلت إلى درجة من التقدم تسمح بالاعتراف مؤقتاً بوجودها كدول مستقلة"، على أن تقدم إليها إحدى الدول المعونة الإدارية، وبشرط أن تراعى رغبة البلد المشمول بالانتداب في اختيار الدولة المنتدبة.

هيكلية الدراسة:-

تكونت الدراسة من مقدمه احتوت على أهمية وأهداف ومنهجية الدراسة ومكانة الدراسة بين الدراسات السابقة وطريقة عرض البيانات الدراسة من المصادر المختلفة والوثائق والمستندات، الخاتمة و توصيات ثم مصادر عربية واجنبية، ثم ثلاث مباحث وخاتمة وتوصيات وقد تناولت المباحث الثلاث موضوع الدراسة بالمناقشة و البحث والمعالجة ثم النتائج والخاتمة.

المبحث الأول

يحتوي المبحث الأول – على الإمبراطورية البرتغالية والتي تعرف بمسمى ما وراء البحار (Ultramar Português) كأولى الإمبراطوريات الأوروبية المعاصرة حيث امتدت على مدى ستة قرون. كما تناول العوامل التي أدت لقيام البرتغال سنة ١٤١٥ م. بحركة الاكتشافات الجغرافية منها: السياسية - الاقتصادية - الدينية - المعلومات الجغرافية.

المبحث الثاني-

تتناقش المبحث الثاني: بداية الصراع بين العرب والبرتغاليين حول التجارة مع الهند والتي تعود إلى فترة حكم العرب للأندلس، وسقوط القسطنطينية بأيدي المسلمين في عام ١٤٥٣، طرق التجارة، منذ أقدم العصور، وهما طريقين، طريق البحر الأحمر و مصر أو طريق الخليج العربي والعراق والشام، أيضا نشاط البرتغالي باحتلال لسواحل شبة الجزيرة العربية والساحل الهندي وثبتوا قدمهم في الشرق وسد منافذ التجارة التي يستخدمها المسلمون (البحر الأحمر والخليج العربي وباب المندب)

المبحث الثالث-

أما المبحث الثالث :- فقد احتوى على نتائج سيطرة البرتغال على الموانئ العربية و تحول التجارة عن المدن والموانئ العربية في الخليج و الضائقة الاقتصادية بسبب تحكم البرتغاليين بالطرق التجارية وإغلاق الخليج العربي وعزله عن التجارة الشرقية مما أدى لانتهاء النشاط التجاري البحري لعرب الخليج لهم أثناء تلك الفترة. أيضا تناول المبحث ورد فعل القوى الإسلامية وتصديها الذي تمثل في المماليك اللذين انهزموا في معركة ديو البحرية عام وانتقال السيادة العثمانية على منطقة الخليج العربي كسيادة اسمية

الخلاصة – التوصيات

المصادر والمراجع،

المبحث الأول

الاستعمار البرتغالي في بحار الشرق ودوافعه

مملكة البرتغال (Portuguesa)

أولا يأتي الحديث كمحور أساسي عن الإمبراطورية البرتغالية أول الإمبراطوريات الأوروبية المعاصرة وأطولهن عمرا حيث امتدت على مدى ستة قرون والتي عرفت بمسمى ما وراء البحار (Ultramar Português) • فقد كانت البرتغال من حيث الموقع الجغرافي جزءا لا يتجزأ من الدولة الإسلامية في الأندلس حتى بداية القرن الحادي عشر الميلادي، وقد سجل لنا التاريخ شهادة ميلاد البرتغال كولاية صغيرة في عهد فرديناند الأول ملك قشتالة وليون ١٠٣٥-١٠٦٥ م، وأطلق عليها آنذاك كونتية البرتغال، وذلك عندما نجح هذا الملك في استرداد أراضي إقليم لوزيتانا من

المسلمين، التي كانت تقع بين نهري دويرو ومنديجو، وجعل من هذه المنطقة ولاية مستقلة تحت اسم البرتغال، إلا أنها ظلت في الوقت نفسه تابعة لقسطنطينية. وقد ساعد على قيامها كمملكة سريعة مجموعة من العوامل السياسية والجغرافية معا كالوضع السيئ لملوك الطوائف المسلمين في الأندلس، حيث زاد التنافس الخلافت والنزاع الحربي بينهما أشده خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، ثم الصراعات بين ملوك الطوائف والتي أضعفت إمكانياتهم العسكرية، مما كان سببا مهما ومشجعا للقوى النصرانية لطرد المسلمين، من شبه جزيرة إيبيريا، نهائيا وضمها للأراضي التي أطلق عليها اسم البرتغال(١)

أسباب الكشوف الجغرافية البرتغالية

تعتبر حركة الكشوف البرتغالية فاتحة الاستعمار الأوروبي لقارتي أفريقيا وآسيا تحديدا خلال القرن الخامس عشر الميلادي، وقد بدأتها البرتغال لأسباب عديدة منها:

موقع البرتغال الجغرافي المميز على المحيط الأطلسي في الطرف الجنوبي الغربي في أوروبا وتواجه أفريقيا مباشرة، مما جعل لشبونة منذ القرن الرابع عشر مخزنا للتجارة الأفريقية المنقولة إلى أوروبا ومنها الذهب والعبود(٢) ولا نستطيع كباحثين في تاريخ أوروبا العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة أن نفصل الدين عن السياسة في أوروبا آنذاك إذ أن الدين هو الموجه لكل الفعاليات والتحركات السياسية. لتدخل الكنيسة في كل شيء ولاسيما إذا علمنا إن بواعث الكشوف البرتغالية هي(الإنجيل-المجد-الذهب) حيث ظل حديث المكتشفين البرتغاليين الأوائل عن وجود نهر للذهب في غرب أفريقيا، وعندما وصلوا إلى مناطق إنتاج الذهب وتصديره في غرب القارة، سموها "ساحل الذهب"(٣)

(١) 1- Geography Of India For Civil Ser Exam By Hussain; Page 12- 251

(٢) عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى. - القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٩ .

3-Politics of the Indian Ocean region: the balances of power By Ferenc Albert Váli; Page 25

أهداف الكشوف البرتغالية

بعد أن تناولنا في ما سبق الكشوف الجغرافية وأهدافها نتحدث الآن عن عوامل الكشوف و التي قد لا تختلف لدى كل الدول الأوروبية ، لكنها قد تكون أكثر قوة ودافعية بالنسبة للبرتغال دوله من الدول الأوروبية فهناك عدة عوامل أدت لقيام البرتغال سنة ١٤١٥م بحركة الاكتشافات الجغرافية نوردتها فيما (٤)

١-العوامل السياسية

أ- ظهور القومية الأوروبية والرغبة في السيطرة على أراضي جديدة للتوسع فيها و استعمارها واستيطانها. ساعدها على ذلك استقرار أحوالها السياسية وتشجيع ملوكها للرحالة .

٢- العوامل الاقتصادية:

كان من أهم العوامل التي دفعت البرتغاليين إلى هذا الاحتلال والذي تمثل في :-

- أ- حاجة أوروبا إلى بضائع الشرق من التوابل والبهارات والمعادن والسكر والعاج وذلك لاحتكار التجار المسلمين التجارة بالتعاون مع المدن الإيطالية . ومحاولة الأوروبيون الوصول إلى آسيا مباشرة للتخلص من دفع الرسوم والضرائب التي كانوا يدفعونها للعرب والمسلمين.(٥)
- ب- الأزمات الاقتصادية الخانقة في أوروبا في القرن الرابع عشر، كانت هي الدوافع الأولى للكشوف والبحث عن حلول لتلك لمشكلات .
- ج- إضعاف العالم الإسلامي والقضاء على قوته ونزع تجارة الشرق من أيدي تجار المسلمين وتخلص الأوروبيون سيطرة الأتراك العثمانيين .

٣- العوامل الدينية:

نشر العقيدة النصرانية (الروح الصليبية العميقة ضد الإسلام) لمطاردة المسلمين في أفريقيا . وملاحقتهم إلى الساحل الغربي في القرنين الرابع عشر والخامس عشر فيما عرف "بالحروب الصليبية الثانية" في المغرب الأقصى . لبيط سيطرت الكنيسة الكاثوليكية على الأقطار المكتشفة غير المسيحية .

٤-المعلومات الجغرافية:-

الرغبة في اكتشاف المجهول وزيادة المعرفة الجغرافية كما يقول فيشر . والإطلاع على المعارف العلمية العربية والاهتمام بدراساتها واهتمام هنري الملاح بالبحرية مكنت البرتغاليين من إدخال تحسينات في بناء السفن ، وكان هدف الملاح كما ذكر أن يهزم الإسلام (تماماً ونهائياً) ولا بد من القول بأن الوجود العربي في بلاد الأندلس قد ساعد الأسبان والبرتغاليين أيضاً، مثال على ذلك رحلة ابن بطوطة الذي زار الهند والصين وأفريقيا ووصفه لثراء التجار الواسع . فصحت المعلومات العلمية العربية الأفكار الخرافية السائدة في أوروبا خلال العصور الوسطى . ومنها أن المياه الاستوائية في درجة الغليان مع وجود الشياطين و العفاريت يسكنون البحار في المحيطات فأصبحت بعد ذلك الملاحة عبر المحيط الهندي والخليج العربي، والبحر الأحمر وجنوب لجزيرة العربية مجالين للتنافس الاستعماري.(٦)

٤- فرغلي علي تسن هريدي، تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع والطبعة: ٢٠٠، ص ٣٨٢

٥- محمد حميد السلطان، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة ما بين ١٥٠٧ - ١٥٢٥م، مركز زايد للنشر والتوزيع عام ٢٠٠٠.

James Steele (2003). *The Colonization of Unfamiliar Landscapes*. (6)-Marcy Rockman

(6) Routledge. ISBN 0-415-25606-2

طرق التجارة الدولية في العصور الوسطى

لابد لنا من استعراض الطرق القديمة للتجارة العالمية في العصور الوسطى في هذا المحور حتى نستطيع توضيح أهميتها التي جعلت أوروبا ترغب في السيطرة عبر الأراضي البرتغالية و منها إلى أوروبا. إذ إن التجارة العالمية بين الشرق والغرب كانت تسلك عدة طرق برية وبحرية بين مصادرها الأصلية في بلاد الشرق، والتي يطل معظمها على المحيطين الهندي والهادي، وبين أسواقها في العالم العربي وأوروبا، و كان أكثرها يسير عبر الطرق التالية:

أولاً:- طريق الخليج العربي - بلاد الشام: حيث تأتي السلع الشرقية عبر السفن إلى هذا الطريق بحرا إلى الخليج العربي ثم البصرة على رأس الخليج و ثم تحمل برا إلى بغداد عبر نهر الفرات ثم إلى حلب ومنها إلى ثغور الشام غرباً، إلى البندقية وجنوه ثم إلى الأسواق الأوروبية. وكان هذا الطريق الأوسط ينقل أكثر البضائع الهندية وغيرها من البضائع الشرقية إلى المستهلك الأوروبي، وقد استفادت منه المدن الإيطالية أثناء الحروب الصليبية في المشرق العربي.

ثانياً:- طريق البحر الأحمر - مصر: والذي يبدأ من عدن كمركز لتجميع السلع الشرقية وغيرها ثم تنقل السلع بحرا إلى السويس أو عيذاب والقصير على الساحل الغربي للبحر الأحمر ثم برا إلى القاهرة ثم الإسكندرية و دمياط، ثم إلى البندقية وجنوه إلى أوروبا بعد أن تمر على أيدي تجار التجزئة الأوروبيين. وقد تحكّم سلاطين المماليك في مصر والشام والحجاز في نهاية العصور الوسطى وحتى مطلع العصور الحديثة بين ١٢٥٠ - ١٥١٧م، في هذان الطريقان وجنوا فوائد وأرباح مادية عظيمة بسبب الضرائب الكثيرة والمتنوعة التي كانت تفرض على مرور هذه التجارة في أراضيهم، واتخذوا عدة احتياطات منها أنهم حرموا المراكب غير إسلامية بالإبحار عبر البحر الأحمر بحجة أن هذا البحر الذي يؤدي للأماكن الإسلامية المقدسة في الحجاز وأوقعوا أشد العقوبات. و كان هناك طريق ثالث بري، عبر جبال الهند الداخلية شمالاً إلى الصين ثم (٧)

أ- فرع يتجه نحو بحر قزوين ثم نهر الفولجا الروس إلى البحر الأسود ليلبغ ثم القسطنطينية وقد حدثت عراقيل عديدة في هذا الطريق مع ظهور الدولة العثمانية وحروبها التوسعية في نهاية القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر الميلادي تطورت جميع مراكز إنتاج التوابل في الدول كالأفغانية والمغولية في الهند، والممالك الإسلامية في ملقا والخليج العربي، ودولة المماليك في مصر والشام والحجاز، والإمارات الإسلامية في شرق أفريقيا، التي كانت في أيدي المسلمين. مما جعل أوروبا تفكر في الخروج من الهيمنة التجارية الإسلامية وخاصة بعد احتلال العثمانيين لعاصمة أوروبا الشرقية "القسطنطينية" عام ١٤٥٣م. (٨)

وأيضا كانت المشكلات والخلافات السياسية أحيانا تغلق إحداهما أو كليهما، وحين كان الطريقان يغلقان معاً، مما كان يتسبب في نقص أو انقطاع مدد البضائع الشرقية عبر أوروبا، وارتفاع أسعارها فيصبح ليس باستطاعة أغلب الأوروبيين اقتنائها لكثرة الرسوم الجمركية وأجور الشحن والتفريغ لمرات عديدة. عبر أهم وأكبر المراكز الأوروبية والعربية الأوروبية قديماً التي كان لها نصيب كبير من تجارة المشرق مثل البندقية وجنوا، والإسكندرية. وقد فقدت جنوا مكانتها في عالم التجارة الشرقية نتيجة سقوط القسطنطينية على أيدي الأتراك في ١٤٥٣ م، وأصبح هذا الطريق تحت رحمة العثمانيين ثم بعد فترة وجيزة، الأمر الذي أدى لخلاف بين المماليك في مصر والبندقية و العثمانيين وافقد المنطقة عدة مزايا إذ كانت التجارة العالمية الآتية من بلاد الشرق إلى أسواق أوروبا طوال العصور القديمة والوسطى تظفر برواج واسع وتحقق أرباحاً خيالية للمشتغلين بها منذ شحنها في موانئ التصدير الآسيوية والأفريقية المطلّة على المحيط الهندي. أما الحديث عن السلع فقد كانت متعددة ومتنوعة، ويتشكل قوامها من

البخور والعطور والتوابل التي عُرفت تجارتها باسم تجارة الكارم، والعقاقير، والبن، والأقمشة الحريرية، والسجاد، والعاج، و الأحجار الكريمة، (٩)

(٧) نعيم زكي فهمي، طرق التجارة ومحطاتها بين الشرق والغرب، أواخر العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣

(٨) محمد رفعت، تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٥٩

(٩)- محمد رفعت، تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية، مصدر سابق.

، والبن، والأقمشة الحريرية، والسجاد، والعاج، و الأحجار الكريمة ، والأخشاب النادرة التي يصنع منها أرقى أنواع الأثاث الفاخر والتحف الثمينة .
فالتوابل يأتي في مقدمتها القرفة والزنجبيل واللفل وجوز الطيب، تجارة الأقمشة الحريرية، فقد عرفت في ديار الشام ومصر منذ القرن الأول ونشط
طلبها من الشرق نشاطا ملحوظا كما أقيمت النساء الأوريبات على المسك والعنبر وماء الورد وأنواع العطور والبخور والمنسوجات الحريرية الراقية،
وكانت تشاركهم في ذلك أيضاً الكنائس في أوربا. أما العقاقير المتعددة الأنواع مثل الأفيون والكافور والصمغ وغيرها، فكان الأوربيون يستخدمونها في
إعداد الدواء ويكتبون عليها ما يدل على استيرادها من بلاد الهند أو بلاد العرب تأكيداً لجودتها (١٠)

وبدت جمهورية البندقية منذ القرن الحادي عشر الميلادي جمهورية أرستقراطية على شواطئ الأدرياتي وشمال شرقي إيطاليا. واستطاعت "ملكة
الإدرياتي" كما كان يطلق عليها، أن تشيد عظمتها وقوتها المادية والاقتصادية على التجارة، وتمتعت بنفوذ عظيم في حوض البحر المتوسط، ولها
محطاتها التجارية منبثة على شواطئه، وأصبح لها أسطول تجاري وحربي ضخم . وكانت لها علاقات تجارية ومالية قوية بوسط أوربا وشرقي البحر
المتوسط ومع العالم الإسلامي تركزت على تجارة الشرقيين الأقصى والأدنى، وكانت مركز اتصال حضاري بعيد المدى بين الشرق الإسلامي والغرب
المسيحي الأوربي. وقد عاشت جمهورية البندقية ما يزيد على سبعمائة عام، ولم يززع قوتها إلا تحول طريق التجارة العالمية عنها وعن حوض البحر
المتوسط إلى طريق رأس الرجاء الصالح عبر المحيط الأطلنطي في نهاية القرن الخامس عشر على أيدي البرتغاليين . أيضا اهتمت جنوه وبيزا و فينسيا
بتجارة غربي البحر المتوسط ، كمحطات هامة على هذا الطريق كما أسلفنا من قبل . (١١) وتجدر الإشارة كذلك دور فلورنسا في ميادين التجارة الشرقية
في النشاط التجاري مع مصر والشام، خاصة وأسرّة "ميدنتشي" الحاكمة في فلورنسا في نهاية العصور الوسطى ، وقد عملت على توثيق صلاتها التجارية
مع السلطات المملوكية . (١٢)

أيضا تأتي مدينه الإسكندرية في مقدمة المدن الواقعة على طريق التجارة العالمية بين جنوبي شمالي حوض البحر المتوسط وقد كانت مدينه
الإسكندرية كما هو معروف - من أعرق مدن العالم وأقدمها. بناها الإسكندر الأكبر في عام ٣٣١ ق.م. عند موقع «راقودة» في الشمال الغربي لدلتا وادي
النيل العظيم وعلى ساحل مصر الشمالي الغربي المطل على البحر المتوسط، في تربط مصر بأوربا، ومدخل سهل إلى النيل. واكتسبت الإسكندرية
شهرتها من ثرائها العريض فضلا عن جامعتها العريقة ومكتبتها التي تعتبر أول معهد أبحاث حقيقي التاريخ بحيث أصبحت هذه المدينة قبلة الباحثين .

(١٣)

الكشوف البرتغالية في القرن الخامس عشر

بدأ المستكشفون البرتغاليون استكشاف ساحل أفريقيا في ١٤١٩، في مطلع القرن الخامس عشر، تمكن الملاحون في البرتغال من اكتشاف سواحل أفريقيا الغربي، وتم بناء مراكز وقلاع حربية وتجارية، كما حققت البرتغال أرباحاً طائلة من وراء نقل الأفريقيين إلى أوروبا، وبيعهم في أسواق العبيد، وتتابع الرحلات سنة بعد أخرى، فبدأت برحلات الأمير هنري الملاح المولع بالبحر حيث وصل إلى سبته والرأس الأخضر عام ١٤١٥ وجزر ماديرا و أزور، و مصب نهر السنغال كما ورد وتعتبر اكتشافاته وسفنه أعظم انجازات الملاحة البرتغالية وهي التي سهلت الدوران حول القارة الأفريقية. بعد ذلك بقيادة "بارثولوميو دياز" الذي تمكن من بلوغ "رأس الرجاء الصالح" في أقصى جنوب أفريقيا

(10)- Heyd, W., *Histoire du commerce du Levant au Moyen Age*, T. 1, 2, Leipzig, 1925

١١- محمد مصطفى صفوت، الجمهورية الحديثة، منشأة المعارف، الإسكندرية، الطبعة الأولى،

١٢- طرق التجارة ومحطاتها بين الشرق والغرب في العصور الوسطى مصدر سابق.

١٣- أرشيف الشهر العقاري بالإسكندرية، محكمة الإسكندرية الشرعية، سجل مبيعات رقم (١)، من ٢٤ شعبان ٩٥٧ هـ / ١٥٥٠ م إلى شعبان ٩٥٨ هـ / ١٥٥٨

عام ١٤٨٨. وفي عام ١٤٩٧ وصل الملاح "فاسكو دا غاما" إلى جنوب أفريقيا منطقة (رأس الرجاء الصالح) (١٤)

وتجدر الإشارة هنا إلى توضيح استفادة البحارة الأوربيين من الخبرة العلمية العربية بعد ما وقفنا عليه مصادر كثيرة عن قلة معلومات

الأوربيين العلمية بشؤون البحر والإبحار، وخاصة البرتغاليين بعد أن التقى فاسكودي جاما بالملاح العربي العُماني "أحمد بن ماجد السيبوي

من جلفار الذي برع في الفلك، الملاحة والجغرافيا وسماه البرتغاليون (بالبرتغالية (almirante) ومعناها أمير البحر (١٥) غرب

الهند. وفي العام ١٤٩٧م واستفاد منه البرتغاليين ولقب أحمد بن ماجد "بمعلم بحر الهند" (١٦). فقد ذكر المؤرخ البرتغالي (باروش) في كتابه (أسيا

البرتغالية) أن فاسكودي جاما التقى في مالندى بمسلم يدعى المعلم كانا (ووجد لديه عدداً كبيراً من الخرائط والآلات، وقد ذكر قطب الدين النهر

والي في كتابه (البرق اليماني في الفتح العثماني أن المعلم كانا لم يكن إلا أحمد بن ماجد (١٧) الذي ينتسب إلى عائلة من الملاحين. كتب العديد

من المراجع الملاحية، وكان خبيراً ملاحياً في البحر الأحمر وخليج بربرا والمحيط الهندي وبحر الصين إلى الهند.

ويتمتع أين ماجد بأشهر اسم في تاريخ الملاحة البحرية لارتباط اسمه بالرحلة الشهيرة حول رأس الرجاء الصالح إلى الهند حيث قام ابن ماجد

بمساعدة فاسكو دي غاما لاكتشاف طريق الجديد الموصل، و له الفضل في إرساء قواعد الملاحة للعالم، وقد بقيت آراؤه سائدة في مجال

الملاحة في لكل من البحر الأحمر وبحر الصين حتى سنة ٩٠٣ هجرية (١٨) وهو أول من كتب في موضوع المرشحات البحرية

الحديثة والخليج العربي. وهو أكبر وأهم ملاح عربي في كل العصور، ومن مصنفات الكبرى كتاب نثرأً ويحمل عنوان (كتاب الفوائد في

أصول علم البحر والقواعد) يتحدث فيه عن الملاحة بجانبها النظري والعملية، وعن البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي (١٧) (كتاب

الفوائد في أصول علم البحر والقواعد) استطاع الملاحين بارثولميو دياز وفاسكو داجما بعد معلوماته المفيدة من شق الطريق إلى الهند (١٩)

"

الأهداف السرية للكشوف

اتسمت هذه الكشوف البرتغالية البحرية بالسرية فيما أطلق عليها (بعثات التجسس البرتغالية) وكانت تهدف بشكل أساسي إلى جمع كافة المعلومات عن مصادر ثروة الشرق من التوابل وغيرها. وقد حدثت هذه الرحلات التجسسية في عهد الملك جون الثاني وحصوله على خريطة لأفريقيا تم رسم مملكة القس يوحنا في شرقها وتحالف معه ضد المسلمين. والتوسع في أفريقيا للوصول إلى الهند، في الفترة ما بين نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر، وأطلق عليها في العلاقات الدولية. عصر السيادة البحرية والاستعمار الأوروبي الحديث، وبداية عهد الاستعمار البرتغالي في المحيط الهندي وشرق أفريقيا والمشرق الإسلامي بوصولهم إلى مدينة سفالة أول المدن الإسلامية في ساحل شرق أفريقيا، وانبهارهم بما شاهدوه من معالم حضارة راقية تفوق حضارتهم في الكثير من المظاهر، في هذه المدينة

(١٤) الدكتور عبد الهادي التازي، "ابن ماجد والبرتغال"، الكتاب أصدر منه الطبعة الثالثة بسلطنة عمان بنفس العنوان عام ٢٠٠٥
(١٥) أمير البحر علي بن الحسين، عن مخطوطة ريفان رقم ١٦٤٣، 1554 م

(١٦) جابرييل فراند، "الربان العربي عند فاسكو دي غاما والملاحة العربية في القرنين الخامس عشر، بالفرنسي، دورية الجغرافية، ١٩٢٢
(١٧) جورج حوراني، "العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى، ترجمة يعقوب بكر، مصر، ١٩٥٨".
(١٨) أنور عبد العليم، الفوائد في أصول علم البحر والقواعد لابن ماجد الملاح، مجلة العرب، الجزء التاسع، السنة الرابعة، حزيران ١٩٧٠، ص ٨٣٢
(١٩) رواد علم الجغرافيا في الحضارة العربية الإسلامية، علي عبد الله الدفاع، ص ٢٣٣

كانت عامرة أيضا بتجارة الذهب. كذلك (٢٠) في موزمبيق وكلوة وممباسة كما يصف كاتب تاريخ "السلوة في أخبار كلوة" فقد استطاعوا البرتغاليين تكوين إمبراطورية استعمارية قوية أثناء حركة الكشوف الجغرافية. واحتكروا التجارة وسيطروا على الطرق الملاحية وانشأوا العديد الشرق، يضاف إلى ذلك حملات التبشير والتنصير بالقوة التي مارسوها مدمرين القوى الإسلامية ومؤسسين قلاعاً من الشركات التجارية في. وبذلك فقد أصبحت الإمبراطورية حقاً بناگاساكي لشبونة ونقاط تجارة أينما حلوا. وبحلول عام ١٥٧١، أصبحت هناك عقداً من الثغور يربط كوا Goa فكان ذلك نذيراً بالاضمحلال للتجارة العربية، كون البرتغاليون مركزاً تجارياً في (٢١) البرتغال عالمية، و تدفقت ثروات هائلة إلى على الساحل الغربي للهند والذي أصبح منذ سنة ١٥٠٩ قاعدتهم الرئيسية في شبه القارة واندفعوا أكثر نحو الشرق إلى جزر التوابل أو جوا اندونيسيا والملايو) ليؤسسوا لمائة السنة التالية (٢٢)

المبحث الثاني:-

النشاط البرتغالي واحتلال سواحل ومنافذ التجارة في شبه الجزيرة العربية

يأتي الحديث هنا عن احتلال سواحل ومنافذ التجارة في شبه الجزيرة العربية والتي توضح لنا الدور الذي قاموا به البرتغاليين في ضرب الاقتصاد العربي وكساد التجارة، بعد أن استولوا على الساحل الهندي وثبتوا قدمهم في الشرق في هذه المدينة الهندية -غوا- والتي كانت أول مستعمرة أوروبية في الشرق كله، ولاسيما بعد زوال كل المستعمرات الصليبية من قبل، كما كانت هذه المدينة أيضا نقطة وثوب برتغالية إلى الخليج العربي، وظلت كذلك حتى بعد أن فازت الهند باستقلالها في أعقاب الحرب العالمية الثانية. واصل البرتغاليين نشاطهم البحري باحتلال سواحل شبه الجزيرة العربية وذلك بتكليف قائد الأسطول ألفونسو البوكيرسد منافذ التجارة التي يستخدمها المسلمون (البحر الأحمر والخليج

العربي(٢٣) فبدأ البوكريك نشاطه في عام ١٥٠٧ باحتلال جزيرة سومطرة والواقعة في مواجهة الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية وفي منتصف الطريق تماماً بين الخليج العربي والبحر الأحمر ذات المركز الاستراتيجي الخطير بالنسبة إلى المحيط الهندي والخليج العربي لاتخاذها قاعدة لإغلاق مضيق باب المندب والنزول

في عدن ، فتمكن من محاصرة باب المندب تماماً ، ومنع التجار العرب من دخول الهند ، ولكنهم فشلوا في احتلال عدن ، فاحتكروا التجارة وتم القضاء على الرخاء الاقتصادي العربي والسيطرة على منطقة الخليج العربي و الاستيلاء على العديد من المدن الهامة (٢٤) وعند هذه النقطة تتضح سياسة إيران في هذا الصراع وتحالفها مع البرتغاليين دوماً ضد العرب والشيخ سيف الدين و لاسيما عندما أجبرته على قبول الحماية البرتغالية. ويشير الاتفاق الذي تم بين القائد البرتغالي -ألبورك - والشاه الإيراني - إسماعيل الأول كما يوضح طبيعة المصالح

(٢٠) محمد حميد السلطان، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج، مصدر سابق.

(٢١) أنور عبد العليم، الفوائد في أصول علم البحر والقواعد لابن ماجد الملاح، مصدر سابق.

(٢٢) رواد علم الجغرافيا في الحضارة العربية الإسلامية، مصدر سابق.

(٢٣) جاد طه، محاضرات في تاريخ أوروبا الحديث. - الطبعة الأولى. - القاهرة: كلية الآداب- جامعة عين شمس، ١٩٩٧

(٢٤) جابرييل فراند، "الربان العربي عند فاسكو دي غاما والملاحة العربية في القرنين الخامس عشر، بالفرنسي مصدر سابق.

المشتركة بين إيران والبرتغال حيث جاء في هذا الاتفاق ما يلي :-

أن تقدم البرتغال بعض السفن للشاه لتمكينه من غزو البحرين والقطيف. (٢٥)

-أن تساعد الشاه لقمع ثورة مكران في مقابل موافقة الشاه على احتلال البرتغال لميناء جوادر على ساحل بلوشستان فتوجه البوكيرك إلى خور فكان ،التي قاوم سكانها الغزاة البرتغاليين عند مهاجمتهم المدينة وتدمرها ،و احتل بعدها البوكيرك إلى رأس مسندم ومنه مباشرة إلى هرمز التي كانت مشيخة عربية كبيرة استطاعت أن تبسط سلطانها السياسي على أجزاء مترامية من شواطئ الخليج العربي وجزره ،فشملت عمان حتى القطيف شمالاً، (٢٦)

ودخلت جزر البحرين في تبعيتها ، وضمت قسماً كبيراً من الساحل الشرقي، إضافة إلى عمقها الكبير داخل الجزيرة العربية وحتى مشارف عدن ، وتعد مشيخة هرمز آنذاك من أعظم الكيانات التي شاهدهتها منطقة الخليج العربي ثراءً وأكثرها ازدهاراً وأوفرها سكاناً وكانوا يعيشون على مستوى عال من الرفاهية ويرجع ذلك الازدهار إلى اتساع دائرة النشاط التجاري الذي كان يمارسه سكان هرمز ، التي غدت حلقة مهمة في نقل التجارة العالمية بين الشرق والغرب ، وأطلق عليها لقب (لؤلؤة الشرق) • فحاصرها البوكيرك وأشاع الرعب في نفوس السكان •

(٢٧) وتذكر المصادر البرتغالية دفاع ملك هرمز واللذين اشتركوا معه في الدفاع عن الجزيرة مما يدل على المركز الذي كانت تشغله هذه المشيخة في شرقي الجزيرة و يدل على مركزها في شرقي الجزيرة العربية، وانتهى الأمر انتهى بالاستيلاء البرتغال عليها وإقامة حصن عليها، وأن يدفع لملك البرتغال جزية سنوية ، وأن يسمح لهم بإقامة منشآت عسكرية في بلاده • كما تقرر في الصلح عدم فرض الضرائب على السلع التي يجلبها البرتغاليون من هرمز والموانئ التابعة لها • (٢٨) ونصت شروط الصلح أيضاً على عدم السماح لسفن الأهالي بممارسة نشاطها في الخليج إلا بتصريح خاص صدر من البرتغاليين وبهذا فرض البرتغاليون سيطرتهم على المنطقة ، بشكل لا يقبل الشك وعين البوكيرك بمنصب نائب ملك في الهند ، خلفاً لفرانشكيو دالميد أول من تولى هذا المنصب عام ١٥٠٥ استفاد البرتغاليون من موقع جزيرة هرمز الاستراتيجي

وأقاموا حصن عليها، وجعلوا منها محورا للفعاليات البرتغالية مما يدل على أهمية هذه المشيخة في شرقي الجزيرة العربية وازدهرت تجارتهم مع موانئ الخليج الأخرى، إلا أن تعسف البرتغاليين وجسامة القيود والضرائب التي كانوا يفرضونها على الجزيرة أدت إلى تدهور تجارتها وانخفاضها بشكل مستمر طيلة القرن السادس عشر (٢٩) ازدادت مقاومة السكان للبرتغاليين وقامت الثورات العربية ضدهم بعد وفاة السفاح البرتغالي البوكيرك ، بحيث امتدت الثورة إلى جميع القواعد والحصون البرتغالية في منطقة الخليج العربي ، وترجع أسباب الثورة إلى سياسة الاضطهاد والظلم والتسلط على يد(ديجوري مليو) قائد الحامية البرتغالية في هرمز، مما أدى إلى ثورة عرب الخليج

-
- (٢٥) عبد الله عبد الرازق إبراهيم – الدكتور شوقي الجميل ، تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، الناشر: دار الزهراء، الطبعة الثانية ٢٠٠٢م
(٢٦) شوقي عطا الله، تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها ، الطبعة ط٢ ، تاريخ النشر ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م
(٢٧) محمد حسن العيدروس،: تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، المكتبة التاريخية اليمنية ٢٦ مارس ٢٠١٦
(٢٨) نعيم زكي فهمي، طرق التجارة ومحطاتها بين الشرق والغرب، أواخر العصور الوسطى، مصدر سابق .

(٢٩) محمد حسن العيدروس،: تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، المصدر السابق.

بقيادة ملك هرمز وهاجموا السفن الموجودة في ميناء هرمز، و تعرض البرتغاليون إلى هجمات منظمة ، وشهدت الثورة نجاحا عظيما وتعرض البرتغاليون إلى خسائر فادحة ، ولم ينج البرتغاليون في قلعات وجزيرة قشم اندلعت الثورة ثانية في عام ١٥٢٦ وشاركهم حكام مسقط ايضا ثارت البحرين في عام ١٥٢٩ نسبة لتعذر حاكمها (مقرن بن زامل من بني الجبور) عن دفع الضرائب ،والذي كان أول حاكم إعدم في الشرق الإسلامي على يد البرتغاليين ونصبوا عليها حاكم هرمزي يمتاز بكونه مسلما فارسيا سنيا ، فهو مسلم لكي يقبل به أهل البحرين المسلمين وفارسي لكي لا يميل لأهل البحرين العرب ، وسني لكي لا يتعاون مع أهل البحرين الشيعة (٣٠)

أيضا ثارت القطيف ، واستمر العرب في ثوراتهم حتى تمكنوا في النهاية من القضاء على البرتغاليين وفي الوقت الذي تحمل العرب أعباء المقاومة للوجود البرتغالي ، فقد رحب الفرس ومنذ البداية بالغزاة البرتغاليين وعقدوا معهم معاهدة تضمنت اعتراف الصفويين باستيلاء البرتغاليين على هرمز وقيام تحالف عسكري بين فارس و البرتغال في الخليج العربي ظاهره ضد الدولة العثمانية وحقيقته ضد الوجود العربي . ويتضح ذلك من الرسائل المتبادلة بين شاه فارس و البوكيرك ، خدمة البرتغاليين للأطماع التوسعية الفارسية في الخليج العربي ، ولم يفرط عقد . هذا التحالف إلا بعد ضعف البرتغاليون وظهرت قوى جديدة .(٣١)

الأوضاع السياسية في مشرق العالم الإسلامي عند مجي البرتغاليين

وسوف نتناول هنا القوى السياسية أوضاعها التي ظهرت على مسرح الأحداث ، كدول إسلامية رئيسية حكامها من غير العرب، وكانت تتحكم في مجرى الأحداث في مشرق العالم الإسلامي عند مطلع القرن السادس عشر الميلادي وتحتل هذه الدول المساحة الأعظم في وسط المنطقة التي تسمى اليوم في بالاصطلاح الأوروبي (الشرق الأوسط) وهذه الدول هي ثلاث:

الدولة الصفوية في معظم بلاد فارس (إيران) وأجزاء كبيرة من العراق .

الدولة العثمانية في آسيا الصغرى (الأناضول) وأجزاء كبيرة من شرق أوروبا .

الدولة المملوكية في مصر والشام والحجاز وبعض النفوذ في اليمن .

وسنركز على هذه الدول الإسلامية الثلاث الكبرى لارتباطها بمجى الأحداث التي وقعت عند مجي الغزو البرتغالي للمنطقة ضمن حدود المساحة الجغرافية التي قصدها البرتغاليون في حروبهم الاقتصادية الصليبية بعد الكشوف الجغرافية. (٣٢)

محاولات التصدي المملوكي العثماني للغزو البرتغالي في مطلع القرن السادس عشر
يجدر بنا أن نتحدث في هذا المحور عن مجهودات الدولة المملوكية في تصديها للغزو البرتغالي في مطلع القرن السادس عشر، بينما لم تكن للعثمانيين علاقة مباشرة بالتجارة بين المحيط الهندي والبحر المتوسط وكان مهمم الشاغل انتهاز الفرص للتوسع شرقا وغربا وجنوبا حتى على حساب جيرانهم المسلمين فكان للمماليك اهتمام خاص بما يجري في المحيط الهندي والبحر الأحمر وخصوصا بخطوط التجارة العالمية في تلك المناطق، حيث ارتبطت بها الدولة المملوكية ارتباطا تاما بعد أن قل الاهتمام بالزراعة وتصدير منتجاتها من مصر بسبب الفوضى وعدم

(٣٠) عبد العزيز محمد الشناوي، أوربا في مطلع العصور الحديثة، مكتبة الأنجلو المصرية، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، القاهرة،

(٣١) عبد الفتاح حسن أبو عليّة، تاريخ أوروبا وأمريكا الحديث. - الرياض: دار المريخ، ١٩٧٩

(٣٢) المصدر السابق نفسه.

الاستقرار السياسي في النصف الثاني من فترة دولة المماليك الجراكسة. ولذا كانت دولة المماليك أكثر الدول الإسلامية الثلاث في المشرق إدراكا لخطورة نجاح البرتغاليين في الوصول إلى الهند بحرا وضررهم البالغ بالمصالح الاقتصادية للدولة. ومن هنا جاءت أسبقية هذه الدولة في البدء بمشاريع (٣٣) التصدي للبرتغاليين عسكريا في المحيط الهندي. و تصادف أن تعرضت دولة المماليك لفترة عصيبة من الاضطرابات الداخلية الدامية عشية وصول البرتغاليين للمياه الهندية عام ١٤٩٨م، ونتيجة للتناحر على الحكم الذي اتسم به تاريخ المماليك منذ استولوا على السلطة، و ضعف شخصية السلاطين والتنافس بين الأمراء وتعرضهم للقتل فقد انعكست هذه الاضطرابات على عرش السلطنة، واهتز مركز الدولة اهتزازا شديدا، منذ وصول البرتغاليين إلى المحيط الهندي (٣٤)

بالرغم من أن سلاطين المماليك اللذين كانوا يحكمون مصر والشام في تلك الفترة قد تحكّموا على طرق التجارة بين الشرق والغرب وحققوا فوائد مادية عظيمة بفرض الضرائب عليها، وأنفقوا بسخاء على إقامة المباني والمساجد وتخفيف الضرائب فأدى ذلك إلى ارتفاع الصناعات والفنون وازدهار التجارة، غير أن هذه الاكتشافات الجغرافية أدت إلى تحول التجارة عن البلاد العربية، (٣٥) مما أدى لتصدى القوى الإسلامية للخطر البرتغالي في معركة ديو البحرية عام ١٥٠٩ قرب الهند بين - في أسطول مشترك من المماليك من مصر والهند والدولة العثمانية وبين الإمبراطورية البرتغالية تلك المعركة البحرية الفاصلة في تاريخ البشرية من الناحية الإستراتيجية. إذ أنها هيأت المسرح لسيطرة البرتغاليين (وبعدهم باقي الأوروبيين) على التجارة في المحيط الهندي للقرن التالي، وبذلك أسهمت بدرجة هائلة في نمو البرتغال وفتح جبهة خلفية رئيسية في الصراع مع العالم الإسلامي بعيداً عن الشرق الأوسط وأوروبا؛ تلك الجبهة هي المحيط الهندي الذي كان قلب التجارة العالمية (٣٦)

أما النتيجة الأخرى لهذه المعركة بأنها أنهت سيطرة المسلمين على خطوط التجارة البحرية مع آسيا آنذاك و أدت لضعف وانهيار قوى المماليك أمام الدولة الفتية وهي الدولة العثمانية التي كانت مشغولة في صراعها مع الدولة الصفوية من جهة ومع دولة المماليك من جهة أخرى لذلك أصبحت السيادة العثمانية على منطقة الخليج العربي سيادة اسمية. بالرغم من ذلك استطاع العثمانيون مواصلة الصراع مع البرتغاليين في منطقة الخليج العربي بعد غزواتهم لأوروبا والتي لعبت - ربما دورا سيكولوجيا معيناً وذلك في الاستيلاء على أوروبا الشرقية عام ١٤٥٤ م، بعد أن كاد أن ينتهي الإسلام من جهات أوروبا الغربية في الأندلس. ومما زاد ذلك الوضع السيكولوجي تأكيدا، اتخاذ السلطان العثماني محمد الفاتح من القسطنطينية مقر الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية - عاصمة للدولة العثمانية وسماها دار الإسلام (إسلامبول). (٣٧)

(٣٣) قطب الدين النهروالي، المتوفى سنة ٩٨٨هـ، "البرق اليماني في الفتح العثماني".

(٣٤) العصر المماليكي في مصر والشام، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦.

(٣٥) إبراهيم علي طرخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة (١٣٨٢ هـ / ١٥١٧ م)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠ م.

(٣٦) عبد الفتاح حسن أبو عليّة، تاريخ أوروبا وأمريكا الحديث. - مصدر سابق.

(٣٧) عبدالعزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ثلاثة أجزاء، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٣.

فأهتم الأتراك العثمانيون بالسيطرة على البحر الأحمر بعد احتلالهم لمصر، وجعله بحيرة إسلامية عثمانية مغلقة ومساعدة القوى الإسلامية في الحبشة ضد التوغل البرتغالي هناك. و محاولاتهم الاستيلاء على المراكز التجارية الواقعة على ساحل البحر الأحمر مثل هرر وسواكن ومصوع حتى لا يمكن البرتغاليين من توطيد أقدامهم في تلك المناطق. كما احتل العثمانيون بغداد والبصرة في عام ١٥٤٦ و خضعت مشايخ البحرين والقطيف لسيطرتهم، فاستطاعوا بسط نفوذهم على الجزء الشمالي من الخليج وبدوا الصراع الحربي بين العثمانيين والبرتغاليين، وخاصة بعد تأييد البرتغاليون لثوار البصرة، قاعدة الأسطول العثماني في الخليج العربي وكانت أهم الحملات (٣٨) العثمانية حملة بيري باشا عام (١٥٥٠-١٥٥٢) والتي تحركت من السويس إلى مسقط واستولت على القلعة البرتغالية وأسرت قائد حاميتها، ثم تقدمت الحملة إلى جزيرة هرمز قاعدة الأسطول العثماني في الخليج العربي فضربت عليها حصاراً محكماً وكادت تسقط في أيدي العثمانيين لولا أن رفع عنها الحصار فجأة، وبعدها أصبحت الدولة العثمانية

غير قادرة أن ترسل حملات بحرية أخرى إلى شرقي الجزيرة العربية أو الهند للتصدي لمراكز البرتغاليين لتوقف السلاح البحري العثماني عن النمو منذ منتصف القرن السادس عشر. فازداد اهتمام الأوربيين بالخليج العربي و تضاعف تأثيره في العالم بأثره بعد ظهور خام البترول، وأصبحت تنصدر أولويات الدول الاستعمارية الكبرى. (٣٩)

المبحث الثالث:

نتائج تحويل التجارة عن المدن والموانئ العربية الإسلامية

كان لتحول التجارة العالمية عنها عقب وصول البرتغاليين إلى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح في سنة ١٤٩٨ من أبرز عوامل التدهور الاقتصادي وفي نهايتها من ناحية التوقيت الزمني، مما جعل هذا الحدث الهام أشبه بالقشة التي قصمت ظهر البعير. فأدت هذه الاكتشافات الجغرافية البرتغالية إلى تحول التجارة عن البلاد العربية، وبالتالي تدهورت الحالة الاقتصادية فأصبحت المدن والموانئ العربية في الخليج العربي مثل قلعات، مسقط، صحار، صور بمثابة محطات برتغالية لحماية جزيرة هرمز والدفاع عن تجارتها، وبقي نظام الحكم المحلي في هرمز تحت الحماية البرتغالية، ونتج عن ذلك أن غادر الكثير من السكان هرمز إلى الموانئ الأخرى في الخليج العربي ولاسيما بعد سياسة الإرهاب والترويع الذي مارسها البرتغاليون مما أثر على ازدهار هرمز و عمرانها. فشعرت هرمز بالضائقة الاقتصادية بسبب (٤٠) تحكم البرتغاليين الطرق التجارية المؤدية إليها تنفيذاً لخطتهم التي استهدفت إغلاق الخليج العربي وعزله عن التجارة الشرقية في منطقة الخليج العربي انهيار النشاط البحري.

(٣٨) عبد العزيز الشناوي، أوروبا في مطلع العصور الحديثة، مصدر سابق.

(٣٩) فاروق عثمان أباطة، «١٦- التنافس الدولي في جنوب البحر الأحمر في النصف الأول من القرن التاسع عشر»، ندوة البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، أبحاث الأسبوع العلمي الثالث، ١٠ - ١٥ مارس ١٩٧٩، سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٠..

(٤٠) التدهور الاقتصادي في دولة سلاطين المماليك (٨٧٢ - ٩٢٣ هـ / ١٤٦٨ - ١٥١٧ م) في ضوء كتابات ابن إياس، الندوة التي نظمتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بالاشتراك مع المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ١٦ - ٢١ ديسمبر ١٩٧٣
أما بالنسبة لثغور الدولة المملوكية في مصر والشام والحجاز الأخرى فقد أقرت أسواقها بعد أن انصرف عنها التجار الأوروبيون نتيجة لتحول التجارة العالمية إلى طريق رأس الرجاء الصالح في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الميلادي (٤١)

ولاسيما موانئ مصر وخاصة الإسكندرية التي ذبلت لم تعد المدينة هي المركز الرئيسي الذي تتجمع فيه السلع الشرقية، من لشبونه و مركزاً لتجميع السلع أيضاً مع موانئ جنوب أوربا المطل على البحر المتوسط (٤٢) وفي مقدمتها البندقية، لم يعد البحر المتوسط يوفر لشعوبه المستوى نفسه من الازدهار الاقتصادي الذي عاشوا في ظلالة الوارفة قرناً عديدة قبل تحول التجارة العالمية عن حوض البحر المتوسط إلى طريق رأس الرجاء الصالح^(٤٣) فمثلاً لهذا، اخذ البنادقة يراقبون مشروعات البرتغاليين وتحركات سفنهم، ويحاولون من جانبهم إقناع سفراء ملوك الهند في لشبونه بعدم مقدرة البرتغاليين على نقل السلع الشرقية دون مساعدة مالية من البندقية. كما حرص البنادقة على تكوين تحالف مع المماليك لمواجهة النشاط التجاري البرتغالي الذي سيطر على طريق رأس الرجاء الصالح وحول التجارة العالمية إليه. غير أن السلطان الغوري رأى أن يبعث برسالة إلى بعض الدول الأوروبية، لتعمل هذه الدول على وقف حملات البرتغال على الهند، وهدد باتخاذ إجراءات عنيفة ضد المسيحيين في بلاده، ولا سيما بالقدس. بل إنه هدد كذلك بإغلاق الأماكن المقدسة، وأن يستخدم نفوذه لدى أمراء الهند لقطع صلاتهم بالبرتغاليين. ثم إنها اقترحت كذلك شق قناة في برزخ السويس .

(٤٣) ونظراً لأنها أهملت موالاة المشروع، فقد ترك دون تنفيذ وقد اتجه السلطان قونصوه الغوري إلى مواجهة النشاط البرتغالي بالقوة عندما أصدر أمره في سبتمبر سنة ١٥٠٥ بإعداد حملة حربية بقيادة الأمير حسين الكردي نائبه في جدة. وتحركت الحملة من القاهرة إلى السويس ومنها إلى ينبع فجدة، ثم غادرت جدة واستولت في طريقها على سواكن عام ١٥٠٦ كما لجأت البندقية إلى التعاون مع الصفويين عندما يئست من مقدرة المماليك على التغلب على البرتغاليين واستعادة التجارة العالمية إلى طريقها التقليدي القديم، علمهم ينجحون فيما فشل المماليك في تحقيقه ، مما أدى إلى تدهور العلاقة بين السلطنة المملوكية والبندقية. غير أن هذا القدر من التجارة العالمية، وهذا النشاط التجاري النسبي ولا شك في أن التجار بوجه خاص قد أحسوا بمدى خطورة تحول التجارة عن الموانئ العربية إلى رأس الرجاء الصالح على أيدي البرتغاليين في سنة ١٤٩٨ م، (٤٤) والذي أدى إلى فقدانهم لمصدر هام من مصادر ثروتهم الناتجة عن اشتغالهم بالتجارة العالمية آنذاك.

وقد لخص ابن إياس في كتابه بدائع الزهور الوضع بقوله " : وكانت في تلك الأيام دواوين في غاية الشح والتعطيل ، فإن ميناء الإسكندرية ، خراب ولم تدخل إليه القطن (السفن) في السنة الحالية ، وجدة خراب بسبب اعتداء الفرنج على التجار في بحر الهند ، فلم تدخل من البضائع من بندر إلى جدة نحو من ست سنين ، وكذلك من جهة دمياط ،

(٤١) التدهور الاقتصادي في دولة سلاطين المماليك، مصدر سابق .

(٤٢) صور من مجتمع القاهرة في العصور الوسطى»، محاضرة ألقيت بالجمعة المصرية للدراسات التاريخية، المجلد ١٨، ١٩٧١.

(٤٣) عبد العزيز الشناوي ،اوروبا في مطلع العصور الحديثة، مصدر سابق .

(٤٤) عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى.. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩

وكان ثغر الإسكندرية في غاية الخراب ، ولم يكن به يومئذ أحدا من أعيان التجار المسلمين أو الفرنج ، وكانت المدينة في غاية الخراب.. فيدل هذا النص على أن الدمار والخراب في كل الموانئ العربية على البحر الأحمر العربية.(٤٥) ويتضح من كل ما تقدم أن تدهور الأحوال الاقتصادية في الموانئ العربية والإسلامية كلها في نهاية لم يكن نتيجة عمل واحد أو سبب بعينه، بل جاء نتيجة أسباب وعوامل عدة تضافرت لتهدم قواعد العالم العربي المسلم هزاً عنيفاً، حتى فقدت أسباب رخائها وثروتها. أما بالنسبة للبرتغال فكانت النتيجة السريعة لاحتلال الخليج العربي الموانئ العربية هي التالي:-

بان حققوا ثورة في تجارة أوربا ومجداً عظيماً و أصبحوا ملوكا يطلقون على أنفسهم (سادة الفتح والملاحة والتجارة في الهند والحبشة وجزيرة العرب وفارس) إذ أن بعد وصول البرتغاليين مباشرة إلى الهند صمموا على السيطرة على كل التجارة التي كانت في السابق بأيدي العرب عملوا على تأسيس عدة محطات تجارية وأصبحت البضائع تنقل بالطريق البحري بواسطة سفنهم فقط وكان هذا الطريق على الرغم من وجود بعض المصاعب فيه ، إلا أنه كان طريقاً رخيصاً للتجارة، ومنه توزع البضائع إلى الأسواق العالمية حيث ترسل البضائع إلى المدن الأوربية فينيسيا و مباشرة إلى الهند صمموا على السيطرة على كل التجارة التي كانت في السابق بأيدي العرب عملوا على تأسيس عدة محطات تجارية وأصبحت البضائع تنقل بالطريق البحري بواسطة سفنهم فقط وكان هذا الطريق على الرغم من وجود بعض المصاعب فيه ، إلا أنه كان طريقاً رخيصاً للتجارة، ومنه توزع البضائع إلى الأسواق العالمية حيث ترسل البضائع إلى المدن الأوربية فينيسيا و مرسيليا وبرشلونة وجنوا بواسطة النقل البحري الرخيص. (٤٦)

ونشير هنا إلى موقف المدن الهندية من هذا التغير الجذري في منطقة الخليج العربي وكسر الاحتكار العربي للتجارة،(٤٧)

بعد أن تمكن البرتغاليون من الوصول إلى الهند عبر طريق رأس الرجاء الصالح في سنة ١٤٩٨ م. أما بالنسبة للمدن الهندية فلم تتأثر كثيراً بهذا التغيير لأن النشاط البرتغالي لم يؤثر على مصالحهم فبعد أن كانت مهنة النقل التجاري احتكاراً خالصاً للعرب في المحيط الهندي، أصبحت الآن في يد البرتغال فلم تجد المدن الهندية ضيراً في بيع بضائعهم بدلاً من العرب. وكما يذكر البعض فقد جمع العداء المشترك للإسلام بين الحكام الهندوس البرتغاليين أيضاً كانت هناك نتائج غير ايجابية للبرتغال وذلك.(٤٨)

بان تطلعهم في الميدان الشرقي في إفريقيا، وآسيا، كان لاحتكار التجارة فقط وليس للاستيطان، لهذا لم يستطع البرتغاليون الصمود في الشرق في معترك التنافس الاستعماري بين الدول الأوروبية، بل سرعان ما خرجوا، وحل محلهم آخرون، وكانت إمبراطوريتهم في الشرق غير متماسكة

الأجزاء، بل كانت شريطاً ساحلياً ممتداً في إفريقيا وآسيا، أو جزر متناثرة في البحار الشرقية وكان تحت سيطرتهم إمبراطورية شاسعة فيما وراء البحار، شملت مستعمرات ما يعرف اليوم بالأقطار الإفريقية (٤٩)

(٤٥) التدهور الاقتصادي في دولة سلاطين المماليك مصدر سابق.

(٤٦) ابن إياس، محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، خمسة أجزاء، حققها وكتب لها المقدمة والفهارس محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤.

(٤٧) بحوث ودراسات وثائقية في تاريخ أفريقيا الحديث، دكتور الهام محمد على، مكتبة الانجلو المصرية، ٢٠٠٩ م
(٤٨) المصدر نفسه.

(٤٩) نعيم زكي فهمي، طرق التجارة ومحطاتها بين الشرق والغرب، مصدر سابق.

أنجولا، وكيب تاون، وغينيا بيساو، وموزمبيق، وساوتومي، كما شملت البرازيل، وماليزيا، وإندونيسيا، والصين. بعد سيطر البرتغاليون على تجارة المحيط الهندي، وأنشؤوا قواعد بحرية على سواحل الخليج العربي وفي جنوب شرقي آسيا، وبدؤوا بالتعامل بتجارة الرقيق، وأصبحت البرتغال مركزاً لإدارة هذا السوق وتجارة المحيط الهندي، ورغم سيطرة البرتغال على الطرق البحرية على مدى قرن ونصف، لكنها فشلت في احتكار التجارة، فقد كان التجار العرب يفلتون من الحصار البرتغالي عبر البحر الأحمر والخليج العربي، وينقلون التجارة إلى مصر والشام والبنديقية. (٥٠)

فقد كانت هناك العديد من النتائج العلمية للنهضة الأوربية التي حدثت في القرن الخامس عشر الميلادي، فكان أعظم وأهم مظاهر الكشف البرتغالية ١٤٩٢م. هو اكتشاف الطريق من أوروبا إلى الهند بحراً حول أفريقيا وهو طريق رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٩٨م. و اكتشاف العالم الجديد.

أما النتائج الاقتصادية فهي، أن أخذت التجارة الشرقية التي كانت تصل من المحيط الهندي - الذي كان أشبه بوعاء العسل، بما فيه من خيرات بعد تحول إلى طريق رأس الرجاء الصالح. ويتضح من كل ما تقدم أن تدهور الأحوال الاقتصادية في الموانئ العربية والإسلامية كلها في نهاية لم يكن نتيجة عامل واحد أو سبب بعينه، بل جاء نتيجة أسباب وعوامل عدة تضافرت لتتهز قواعد العالم العربي المسلم هزاً عنيفاً، حتى فقدت أسباب رخائها وثروتها. ولا بد من القول أن البرتغاليين استطاعوا الاحتفاظ بقوتهم في الخليج العربي حتى نهاية القرن السادس عشر، وفي بداية القرن السابع عشر حيث حدثت تطورات مهمة أدت إلى إضعاف قوة البرتغاليين وتلاشي سيطرتهم على الخليج. وبذا تتضح أهمية منطقة الخليج ووجودها بشكل كبير قبل اكتشاف البترول، بل أن اكتشافه أضفى عليها أهمية كبرى وزاد من اهتمام العالم كله بهذه المنطقة. (٥١)

(٥١) نعيم زكي فهمي، طرق التجارة ومحطاتها بين الشرق والغرب، مصدر سابق.

الخاتمة

- اتسمت الدراسة بتوضيح اثر عصر النهضة الإيطالية في الفترة من القرن الرابع عشر وحتى القرن السابع عشر الميلادي، واثرها، على دولة البرتغال بصفه خاصة توسيع النظرة الأوروبية للعالم عامة، وذلك من خلال الاستكشاف الأوروبية، الازدهار والحضارة العلمية وما حقق من اكتشافات في مجالات عديدة •
- أوضحت الدراسة اثر الحروب الصليبية الطويلة التي خاضتها أوروبا مع العالم الإسلامي، ودوره في حركة ترجمة العلوم الإسلامية المختلفة من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية، كبداية "الحركة الاستشراق، في التاريخ الحديث •
- كما أثبتت الدراسة الروافد التي استقت منها أوروبا نهضتها الحديثة كالمراكز الإسلامية الثقافية المهمة آنذاك مثل: قرطبة في الأندلس، وتعلم العربية -"والعلوم المختلفة، و تحرير الفكر الأوروبي من أغلال الكنيسة الأمر الذي أدى لقيام النهضة العلمية، وظهور النظريات المختلفه •
- بينت تغيير الفكر الأوروبي ولاسيما بعد فتح القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية عام ١٤٥٣ م ونتائجه والتي تمثلت في:- الأستراتيجيه الأوروبية الجديدة لتطويق العالم الإسلامي بحريًا، وهو ما عرف في التاريخ باسم حركة: "الكشوف الجغرافية" بدلا عن الحروب الصليبية ما أدى لاكتشاف لطريق "رأس الرجاء الصالح" مما أدى لتغيير طرق التجارة العالمية عن بلاد المسلمين إلى المحيطات الكبرى وكان نقطة تحول في تاريخ الصراع الإسلامي الأوروبي؛ و أدى لضرب الاقتصاد الإسلامي آنذاك وظهور "عصر الثورة التجارية في اوربا •
- كما وفرت الدراسة بعض المعلومات المفيدة عن مجتمعات بعض المدن والموانئ العربية والإيطالية و العلاقات التجارية بينهم في مطلع العصر العثماني •

التوصيات

- أن يجتهد الباحثين في البحث في مجال التاريخ ولاسيما التاريخ الحديث والمعاصر بدراسة الأحداث الماضية التي تمت بصلة للحاضر وربطها ومقارنتها بالحاضر وذلك من خلال ،الكتابات المختلفة من واقع الوثائق والمصادر الصادقة الوثائق الهامة التي تحوي ما هو صحيح و مفيد •
- الاهتمام بالأبحاث في الجامعات والمعاهد المختلفة وتشجيع الباحثين في مجال المواضيع الاجتماعية المختلفة والاستفادة من الدروس والعبر من خلال وقوفنا على صفحات التاريخ المختلفة للوقوف على جهود المسلمين العظيمة ودورهم في صحوة أوروبا ولاسيما في وقت

أصبح فيه العالم الإسلامي في تراجع حضاري حتى تقدر الأجيال ألاحقه جهود الأجيال المسلمة السابقة ودورهم في الحضارة الأوروبية الحديثة من واقع الوثائق والمصادر الصادقة الوثائق الصحيحة

- أقامت الندوات والبرامج التعليمية المختلفة ليتسع مجال المعرفة لان معرفة الماضي تحسن صياغة المستقبل وذلك بالرجوع للمستندات التاريخية الصحيحة.

المصادر والمراجع

أولاً: باللغة العربية

- ١- التدهور الاقتصادي في دولة سلاطين المماليك (٨٧٢ - ٩٢٣ هـ / ١٤٦٨ - ١٥١٧ م) في ضوء كتابات ابن إياس، الندوة التي نظمتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بالاشتراك مع المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الإجتماعية، ١٦ - ٢١ ديسمبر ١٩٧٣.
- ٢- أرشيف الشهر العقاري بالإسكندرية، محكمة الإسكندرية الشرعية، سجل مبيعات رقم (١)، من ٢٤ شعبان ٩٥٧ هـ / ١٥٥٠ م إلى شعبان ٩٥٨ هـ / ١٥٥١ م.
- ٣- ابن إياس، محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، خمسة أجزاء، حققها وكتب لها المقدمة والفهارس محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤.
- ٤- إبراهيم علي طرخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة (١٣٨٢ هـ / ١٥١٧ م)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠ م.
- ٥- الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ثلاثة أجزاء، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٣.
- ٦- العصر المماليكي في مصر والشام، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، القاهرة، بحوث و دراسات وثائقية في تاريخ أفريقيا الحديث، دكتور الهام محمد على، مكتبة الانجلو المصرية، ٢٠٠٩ م.
- ٧- احمد موسى يحيى الزهراني، تاريخ النمسا وأستراليا الحديث، الطائف: ال يحيى، ٣٤٢٢٤.
- ٨- أنور عبد العليم، الفوائد في أصول علم البحر والقواعد لابن ماجد الملاح، مجلة العرب، الجزء التاسع، السنة الرابعة، حزيران ١٩٧٠، ص ٨٣٢
- محمد رفعت، تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٥٩.
- ٩- محمد مصطفى صفوت، الجمهورية الحديثة، منشأة المعارف، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ١٩٥٨.
- ١٠- محمد حسن العيروس، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، المكتبة التاريخية اليمنية ٢٦ مارس ٢٠١٦.
- ١١- سعد زغلول عبد الحميد، «الأثر المغربي والأندلسي في المجتمع السكندري في العصور الإسلامية الوسطى»، ضمن أبحاث مجتمع الإسكندرية عبر العصور، جامعة الإسكندرية، ١٩٧٥.
- سعید عبد الفتاح عاشور، مصر في عصر دولة سلاطين المماليك البحرية، القاهرة، ١٩٥٩.
- ١٢- شارل ديل، البندقية جمهورية الأرستقراطية، تعريب أحمد عزت عبد الكريم وتوفيق إسكندر، القاهرة، ١٩٤٨، ص ١١٢.

- ١٣- شوقي عطا الله، تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها ، الطبعة ٢، تاريخ النشر ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
- ١٤- صور من مجتمع القاهرة في العصور الوسطى»، محاضرة أقيمت بالجمعة المصرية للدراسات التاريخية، المجلد ١٨، ١٩٧١.
- ١٥- عبد العزيز محمد الشناوي، أوريا في مطلع العصور الحديثة، مكتبة الأنجلو المصرية، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٧٧.
- ١٦- عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ثلاثة أجزاء، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٣.
- ١٧- عبدالله عبد الرازق إبراهيم - الدكتور شوقي الجميل ، تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، الناشر: دار الزهراء، الطبعة الثانية ٢٠٠٢م.
- ١٨- عبد الفتاح حسن أبو عليّة، تاريخ أوروبا وأمريكا الحديث. الرياض: دار المريخ، ١٩٧٩.
- ١٩- عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٩.
- ٢٠- عبد الهادي التازي، "ابن ماجد والبرتغال"، الكتاب أصدر منه الطبعة الثالثة بسلطنة عمان بنفس العنوان عام ٢٠٠٥.
- ٢١- فرغلي علي تسن هريدي تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع والطبعة: ٢٠٠، ص٣٨٢.
- ٢٢- فاروق عثمان أباطة، «١٦- التنافس الدولي في جنوب البحر الأحمر في النصف الأول من القرن التاسع عشر»، ندوة البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، أبحاث الأسبوع العلمي الثالث، ١٠ - ١٥ مارس ١٩٧٩، سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٠.
- ٢٣- نقولا زيادة، «الطرق التجارية في العصور الوسطى»، مقال نشر بمجلة تاريخ العرب والعالم، السنة السادسة، العددان ٧١ - ٧٢، سبتمبر - أكتوبر، بيروت، ١٩٨٤.
- ٢٤- نعيم زكي فهمي، طرق التجارة ومحطاتها بين الشرق والغرب، أواخر العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣.
- ٢٥- توفيق إسكندر، نظام المقايضة في تجارة مصر الخارجية في العهد الوسيط، بحث مستخرج من المجلد السادس من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ١٩٥٧.
- ٢٦- قطب الدين النهروالي، المتوفى سنة ٩٨٨هـ، "البرق اليماني في الفتح العثماني".
- ٢٧- جابرييل فراند، "الربان العربي عند فاسكو دي غاما والملاحة العربية في القرنين الخامس عشر، بالفرنسي، دورية الجغرافية، ١٩٢٢.
- ٢٨- جورج حوراني، "العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى، ترجمة يعقوب بكر، مصر، ١٩٥٨".
- (٢٧) الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ثلاثة أجزاء، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٣.
- ٢٩- جاد طه، محاضرات في تاريخ أوروبا الحديث. الطبعة الأولى. القاهرة: كلية الآداب- جامعة عين شمس، ١٩٩٧.
- ٣٠- نقولا زيادة، «الطرق التجارية في العصور الوسطى»، مقال نشر بمجلة تاريخ العرب والعالم، السنة السادسة، العددان ٧١ - ٧٢، سبتمبر - أكتوبر، بيروت، ١٩٨٤.
- علي عبد الله الدفاع، رواد علم الجغرافيا في الحضارة العربية الإسلامية، ص٢٣٣ بدون تاريخ

ثانياً:-المجلات العربية

- ٣١- مجلة التراث الإنسانية، "الفوائد في أصل علم البحار والقواعد لابن ماجد"، المجلد الخامس، ١٩٦٧.
- ٣٢- مجلة العليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، مقال: أحمد بن ماجد، الربان النجدي، لعبد الله الماجد العرب، السنة الثالثة، ١٣٨٨هـ، الأعداد ١-ب، ج١، السنة الثالثة، ١٩٦٨.

- 33 -El-Abbadi, M., The Life and Fate of the Ancient Library of Alexandria. (UNESCO, 1990).
- 34 - Heyd, W., *Histoire du commerce du Levant au Moyen Age*, T. 1, 2, Leipzig, 1925.
- 35-Marcy Rockman, James Steele (2003). The Colonization of .
- 36-Unfamiliar Landscapes. Routledge. ISBN 0-415-25606-2.
- 37-The Indian Ocean and the Superpowers. Routledge. 1986-6.
- 38-Hammer, J., *Histoire de L'Empire Ottoman depuis son Origine jusqu'à nos jours*, T. 18, Paris, 1936>.
- 39- Heyd, W., *Histoire du commerce du Levant au Moyen Age*, T. 1, 2, Leipzig, 1925.
- 40-Howe, Sonia, E., *In Quest of Spices*, London, 1946.